المحاضرة رقم: 03

نشاط الحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية وموقف السلطات الفرنسية من مطالبها.

1- بيان فيفري 1943 :

لقد عمد الجزائريون إلى حركة جديدة للضّغط على الفرنسيين لكي يتخذوا موقفا واضحا من مطالبهم. ففي العاشر من فيفري عام 1943م ، كتبوا " بيانا " ضمنوه عرضا مفصلا عن الاستعمار وعن فشل الاصلاحات الفرنسية وعن مسؤولية المعمرين في توسيع الشقة بين العنصرين . وتوجّه وفد منهم إلى الحاكم العام نفسه، السيد " مارسيل بيروتون" بتاريخ 31 مارس 1943م، لتقديم نسخة من البيان له الذي وعدهم بأخذه بعين الاعتبار وقبوله من حيث المبدأ. كما أرسلوا أيضا نسخا من البيان المذكور إلى ممثلي أمريكا وبريطانيا وروسيا في الجزائر ونسخة إلى الجنرال " ديغول" الذي كان ما يزال عندئذ في لندن. وفي 3 أفريل عين الحاكم العام لجنة " لدراسة المسائل الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين الجزائريين(وليس المسائل السياسية). ومن الواضح أن تعيين الفرنسيين للجان أثناء الحرب يدل على أنهم يهدفون إلى ربح الوقت، لأن فرنسا والحلفاء كانوا سنة 1943م في موقف حرج، وما زالوا لم يعبروا البحر الأبيض إلى أوربا، وامتصاص الحماس الوطني، وخلق انقسامات داخل الحركة الوطنية التي تجمعت حول البيان .

* محتوى البيان :

- إدانة الاستعمار والقضاء عليه .

- تطبيق حق تقرير المصير لكل الشعوب الصغيرة و الكبيرة.

- منح الجزائر دستورها الخاص (خارج الدستور الفرنسي) و الذي يضمن لها ما يلي:

* الحرية والمساواة لكل السكان دون تمييز عرقي أو ديني .

* إلغاء الملكيات الاقطاعية و تجسيد إصلاح زراعي يضمن رفاهية الطبقة الفلاحية .

* جعل اللّغة العربية لغة رسمية مثل اللّغة الفرنسية.

* حرية الصّحافة والاجتماعات .

* التعليم المجاني والإجباري .

*حرية الدين وفصل الدين عن الدولة.

* مشاركة الجزائريين في حكم و إدارة بلادهم .

* تحرير كل المحكومين عليهم والمساجين والسياسيين من جميع الأحزاب .

وقد قدّم " بيروتون " وعودا غير سياسية، تتمثل في ادخال إصلاحات تحسن من وضعية الجزائريين، وأحست الحكومة الفرنسية بخطر تحرك الجزائريين، فقامت بتنحية " بيروتون " في جوان 1943م، وعيّنت بدله الجنرال " كاترو " والذي استلم نسخة من ملحق البيان في 11 جوان 1943، وأعرب عن رفضه لمطالب البيان وهدّد موقعيه، وأصرّ على أن الجزائر ستبقى فرنسية، وقد أقدم على حل المجالس المالية واعتقال السّيدين فرحات عباس وعبدالقادر السايح، ونفيهما إلى إحدى قرى جنوب إقليم وهران، ثم أطلق سراحهما تحت ضغط المظاهرات الشعبية الاحتجاجية التي عرفتها مدينة الجزائر وسطيف وقسنطينة .

2- إصلاحات فرنسا ومواقف الجزائريين منها :

أحست حكومة " ديغول " بالعواقب الوخيمة لاعتقال واضطهاد الوطنيين الجزائريين، فشكلت لجنة للإصلاح، وخاطب الجنرال " ديغول " في قسنطينة يوم 12 ديسمبر 1943 الجزائريين، واعدا إياهم عن اصلاحات التي تنوي لجنة فرنسا الحرة – التي يراسها ديغول – تطبيقها بالنسبة للجزائريين، ووعد مستمعيه بأن هذه الاصلاحات تشمل :

* المنح الفوري للجنسية الفرنسية لعدة آلاف من الجزائريين بدون الاشتراط عليهم التّخلي عن أحوالهم الشخصية الاسلامية .

* زيادة نسبة عدد الممثلين الجزائريين في المجالس المحلية.

* الاحتفاظ بعدد من الوظائف الإدارية لعدد من الجزائريين الذين تتوفر فيهم الكفاءة.

أ – أمرية ديغول الاصلاحية 7 مارس 1944:

لقد اعتقد أنه من الممكن إسكاتهم ببعض الاصلاحات الشكلية، فأصدر أمرية 7 مارس 1944م من مدينة الجزائر حيث تحكم لجنة فرنسا الحرة، وحيث عاصمة فرنسا الجديدة قبل تحرير باريس من الألمان، وتؤكد هذه الأمرية على أنه :

– سيتمتع الجزائريون بنفس الحقوق ونفس الواجبات التي هي على الفرنسيين، وكل الوظائف الرسمية، سواء كانت مدنية أو عسكرية ستكون مفتوحة لهم .

– سيطبق القانون بدون تمييز بين الجزائريين والفرنسيين، وستلغى جميع القوانين الاستثنائية المفروضة على الجزائريين. وأن المسلمين سيخضعون للشريعة الإسلامية في الأحكام.

– التوسع في تمثيل الجزائريين المسلمين في المجالس المحلية.

– منح الجنسية الفرنسية لأكثر من 60 ألف جزائري (بين 50 الى 70 ألف) مع احتفاظهم بأحوالهم الشّخصية.

– سيتمتع بعض الأصناف من الجزائريين بالجنسية الفرنسية، ويسجلون في هيئة الانتخاب الفرنسية وهم : قدماء المحاربين في الجيش الفرنسي، الحاصلون على شهادة من مدرسة فرنسية معترف بها، الموظفون المدنيون من طرف الدولة أو الولاية أو البلدية، العاملون في وظائف دائمة، أعضاء الغرفة التجارية و الفلاحية، الباشاغوات و القياد، حاملو أوسمة الشرف.....) .

وإذا نظرنا إلى مضامين أمرية 7 مارس 1944 يمكن أن نستخلص الملاحظات الآتية:

- تكرّس الطبقية في المجتمع الجزائري من خلال منح امتيازات المواطنة لفئات معينة (النخبة)، مما يعني أن غيرهم من طبقات المجتمع لازالت بعيدة عن الحضارة والتطور الذي تنشده الإدارة الفرنسية والارتقاء بالمسلم إلى درجة المواطن الفرنسي.
- يعتبر هذا التحديد لهذه الفئة وهم نخبة المجتمع – فأغلبهم حاصل على شهادات – محاولة فرنسية هادفة إلى إبعادهم عن كل نشاط ضمن الحركة الوطنية الذي كان نشاطها يتزايد، ووعيها بقضيتها وحقها في الاستقلال، وفي تكوين أمة لها هويتها يتزايد يوما بعد يوم .

فيا ترى ماهي ردود الفعل المختلفة من هذه الأمرية ؟ وكيف استقبلته مختلف الاطراف الفاعلة في القضية الوطنية ؟ .

ب – ردود الفعل المختلفة من أمرية 7 مارس 1944م :

لم ترض هذه الاصلاحات الجزائريين، حيث رأت الطبقة السياسية أنها جاءت متأخرة، وأن الجزائريين اليوم لم يعودوا يرغبون في الجنسية الفرنسية، بل الجنسية الجزائرية أي استعادة الاستقلال الوطني المصادر بالحديد والنار منذ سنة 1830 ، كما جاءت هذه الأمرية مركزة على فئة معينة، وليس عموم الجماهير الشعبية.

وهكذا كان منطقيا أن تتطابق مواقف أقطاب الحركة الوطنية من أمرية 7 مارس التي يمكن اعتبارها " مشروع بلوم فيوليت معاد "، ويمكن عرض المواقف فيما يلي:

*** موقف العلماء:**

استقبل العلماء الاصلاحات باندهاش وتفاجئ كبيرين، وعبروا عن استيائهم لأن هذه الأمرية لم تعط هذه الفئة مجالا كافيا للمواطنة، وهم غير متفائلين بتطبيق مطالبهم بشأن تعليم اللّغة العربية، ويرفضون أن يكونوا من العائلة الفرنسية التي يختلفون عنها من الناحية العرقية، الدينية والاجتماعية. وهو ما تجسّد في تصريح للشيخ البشير الابراهيمي الذي ذكّر بإرادة الشعب الجزائري في البقاء عربيا مسلما، بما أن الأهالي لا يعنيهم شرف الارتقاء إلى المواطنة الفرنسية .

*** موقف حزب الشعب:**

كان رد فعل حزب الشعب الجزائري – الذي حلّ قبيل اندلاع الحرب – جريئا وواضحا جرأة رئيسه مصالي الحاج، حيث أكّد عدائه الشديد لمشروع بلوم فيوليت بثوبه الجديد، وأصّر على ضرورة البقاء ضمن المواطنة الجزائرية.

*** موقف الحزب الشيوعي الجزائري:**

تمسك الحزب الشيوعي الجزائري بمطلب الاندماج، رافضا كل المطالب ضد فرنسا في ظل ظروف الحرب التي تعيشها، لأنها في حاجة الى اتحاد الشعب الجزائري من اجل عملية التحري، عموما لم يرفض مضمون الاصلاحات. وقد قاموا بتأسيس" أصحاب الحرية والديمقراطية " على جناح السرعة .

*** موقف فرحات عباس وأنصاره :**

عبّر فرحات عباس عن رفضه للإصلاحات، فلم يقبل بمشروع فيوليت المنبعث، وبادر إثر اتصالاته مع أطراف الحركة الوطنية الأخرى إلى إنشاء حركة سياسية تدافع عن مطالب البيان الجزائري، أعلن عن ميلادها في 14 مارس 1944م، وسماها : أحباب البيان والحرية " Amis du manifeste et de la liberté " ضمت العديد من المناضلين الوطنيين من النواب والنخبة وحزب الشعب والعلماء والكشافة الاسلامية والطلبة، وكانت تهدف إلى الدفاع عن مطالب البيان الجزائري، وإلى إرساء جمهورية مستقلة ذاتيا ومرتبطة فيديراليا بالجمهورية الفرنسية، وتمّ التّشديد على أن أهداف الجمعية هي المطالبة بفكرة الأمة الجزائرية، وبدستور للجزائر يضمن إقامة جمهورية مستقلة يجمعها اتحاد فيديرالي مع جمهورية فرنسا المضادة للاستعمار والإمبريالية، وللترويج عن أفكارها والدفاع عن أهدافها، أسست جريدة ناطقة باسمها تحت عنوان : المساواة (l'égalité) 09/15/ .1944

كما كان للأصدقاء (أحباب ابيان والحرية) جريدة أسبوعية تعرف (المساواة) تأسست في 15 سبتمبر 1944م، وظلت تدافع عن أهدافهم، وتقوم بإعلام المناضلين وتثقيفهم بالأفكار السياسية، علاوة على كسب المؤيدين لهذا التّجمع من خلال مختلف اتجاهات الحركة الوطنية عن طريق القيام بحملات تحسيسية للانخراط فيها .

3- مجازر 8 ماي 1945 :

تعود خلفيات مجازر الثامن ماي 1945م إلى التّطورات الحاصلة في مسار الحركة الوطنية عشية وأثناء الحرب العالمية الثانية، وما صاحب ذلك من تغيرات سياسية واقتصادية أثرت على الشّعب الجزائري بصفة عامة، وعلى زعماء بعض الأحزاب السياسية بصفة خاصة، ظهر جليا من خلال النّشاط السّياسي الموسع الذي حصل طوال فترة المواجهة العسكرية الثانية، بداية بالمذكرة التي قدمها " فرحات عباس " إلى الماريشال " بيتان " بتاريخ 10 أفريل 1941م، وهي عبارة عن عريضة تضمنت جملة من المطالب السياسية والاقتصادية، ثم صدور بيان فيفري 1943م الذي يعتبر بمثابة ميثاق، تمّ تحريره بعد مشاورات، كانت قد تمّت بين مختلف أعضاء الحركة الوطنية على اختلاف اتجاهاتها، بالإضافة إلى تأسيس " رابطة أحباب البيان والحرية " في 14 مارس 1944م وما تلا ذلك من نشاط ودعاية ويقظة وطنية أدت

إلى اتصالات علنية وسرية بين قادة الحركة الوطنية، وإلى محاولة تكوين جبهة موحدة للوصول إلى تحقيق أهداف البيان، وتظهر أهمية تلك الحركة في كونها ضمّت أعضاء من جميع اتجاهات الحركة الوطنية، فهي بحق جبهة مكونة من متحالفين أكثر منه حزب سياسي. وهكذا فإن هذا التّطور في الحركة الوطنية قد أثار مخاوف السّلطات الاستعمارية الفرنسية بسبب الوضعية التي آلت إليها فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث فقدت مكانتها الدولية والعسكرية .

لقد بدأت المظاهرات في مدينة سطيف وتميزت بأحداث عنف، حيث صادف ذلك يوم الثلاثاء وهو يوم السوق الأسبوعي، ثم انتقلت إلى مدن أخرى مجاورة وبعيدة. فقد تجمع حوالي 8 آلاف شخص في المحطة قرب الجامع الكبير، وكانت الكشافة الاسلامية الجزائرية تتقدم المظاهرات، وكان المتظاهرون يحملون العلم الوطني، ويرفعون لافتات كتبت عليها عبارات " تحيا الجزائر مستقلة "، " يسقط الاستعمار" " أفرجوا عن مصالي" .....

وكان أحد أطفال الكشافة يحمل العلم الوطني، كما كان المتظاهرون يحملون باقة من الزّهور لوضعها على قبر الجندي المجهول، وعندما وصلت المظاهرة إلى مقهى فرنسا الكبيرة، حاول محافظ الشرطة " أوليفري " Olivierri أن ينتزع الرّاية الوطنية من حاملها وهو الشّاب " بوزيد سعال " فرفض بشدة وإصرار، فأطلق عليه النّار، فأرداه قتيلا، وجرح عدد آخر من المتظاهرين، وكان ذلك بداية اشتعال نيران المجازر المأسوية .

ومن الثّابت أن المظاهرات قد وقعت في مختلف أنحاء البلاد، وليس في سطيف وحدها، فقد جرت في مدينة الجزائر وبجاية وباتنة وبسكرة وعنابة وقالمة وخراطة وبلاد القبائل الكبرى وغيرها من المناطق، ولكنها في غير سطيف كانت أقل عنفا . ومن نتائج هذه المجزرة :

– استشهاد أكثر من 45 ألف جزائري .

– القتل الجماعي و ضرب القرى بالقنابل .

– إلقاء القبض على زعماء حزب أصدقاء البيان والحرية مثل فرحات عباس والدكتور سعدان، وألقي القبض أيضا على البشير الابراهيمي، وعلى عشرات الآلاف من رجال الجمعية (العلماء) وأنصارها وأتباع الحركات الوطنية الأخرى .

– لجأت السلطات الفرنسية إلى حل رابطة أحباب البيان والحرية، كما أعلنت حالة الطوارئ من جديد .

لقد كتب البشير الإبراهيمي عن حادثة 8 ماي 1945 ما يلي: " **لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور... ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة، لطمس هذا الفصل ذلك التّاريخ كله** ".

لقد جعلت هذه المجازر الجزائريين يدركون بأن الاستعمار الفرنسي لا يفقه لغة الحوار والتفاوض، وما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة وعليه ينبغي التحضير للعمل العسكري، حيث تم تشكيل المنظمة الخاصة في 15 فيفري 1947، وحلّت في مارس 1950 بعد اكتشافها من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية.

كما كان 8 ماي المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية وبداية العد التنازلي لاندلاع الثورة المسلحة التي اندلعت شرارتها في الفاتح من نوفمبر 1954 .

<u>ملاحظة</u> : يمكن الرجوع إلى هذه المصادر والمراجع المتعلقة بهذه المحاضرات:

– عباس فرحات : **ليل الاستعمار**، نقله إلى العربية أبو بكر رحال، منشورات ANEP، الجزائر،2005.

– قنانش محمد، **المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945م**، منشورات دحلب، الجزائر، 1991م.

– قنانش محمد، **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م .

– قداش محفوظ: **جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر (1830 – 1954)** ، تر: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 1987.

– سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية (1930–1945)**، ج 3، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2015م.

– بلاح بشير: **تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989م** ،الجزء2.1،دار المعرفة، الجزائر،2006.

– بو عزيز يحي، **سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية 1830 – 1954م**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، طبعة خاصة ، 2009م .

– بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، دار الغرب

الاسلامي، الطبعة الاولى، 1997م .

– مناصرية يوسف، **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1988م .

– خيثر عبد النور وآخرون : **منطلقات و أسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1954م**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المطبعة الرسمية البساتين، الجزائر، 2007م .

– العلوي محمد الطيب : **مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 – 1954م**، الطبعة الأولى، الجزائر، 1985م.

– مقلاتي عبد الله، **المرجع في تاريخ الجزائر1830 – 1954م**، ديوان المطبوعات الجامعية،2014م.

– بوصفصاف عبد الكريم : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 1945م** ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م.

– بوصفصاف عبد الكريم : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 1945م** ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م .

– سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية (1930–1945)**، ج 3، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2015م .

– المدني أحمد توفيق : **حياة كفاح**، ج1،2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

– المدني أحمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة، القاهرة، 1984.

– العمري مومن: **الحركة الثورية في الجزائر، من نجم شمال افريقيا إلى جبهة التحرير الوطني(1926 – 1954)**، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2003.

- مهساس أحمد: **الحركة الوطنية الثورية في الجزائرمن 1914 الى 1954**، تر: الحاج مسعود ومحمد عباس، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

- صاري الجيلالي ومحفوظ قداش، **المقاومة السياسية (1900 – 1954) : الطريق الاصلاحي والطريق الثوري**، تر: عبدالقادر بن حراث المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987 .

- رخيلة عمار: **8 ماي 1945، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

- آجرون شارل روبير، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، تر: عيسى عصفور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 .

- شبوب محمد، **الجزائر في الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945)، دراسة سياسية، اقتصادية وإجتماعية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 01، السنة الجامعية 2014 – 2015.